الثورة الخميس 12 شوال 1433هـ 30 أغسطس 2012م العدد (17453)

تنازع صلاحيات الجهات الحكومية تدمر أهم معلم إسلامي في زبيد

الجامع الكبير بزبيد يتهاوى بمعول الاتكالية واللامبالاة

اليونسكو تمنح زبيد فرصة استثنائية والجامع الكبير على المحك

تحقيق/ صادق هزبر

تعرض الجامع التاريخي الكبير بمدينة زبيد التاريخية مؤخرا لانهيار سقف الطارود الرابع من مبنى الجامع بالمدينة جراء هطول الأمطار الغزيرة من جهة والإهمال من قبل الجهات المختصة وعلى رأسها وزارة الأوقاف والإرشاد والهيئة العامة للآثار وهيئة المدن التاريخية من جهة أخرى، ولا يزال التهديد قائما وينذر بعواقب كبيرة تهدد بانهيار كامل لهذا المعلم الإسلامي التاريخي الهام المدرج ضمن قائمة التراث العالمي ضمن مكونات مدينة زبيد التاريخية المهددة أيضا بالشطب من هذا التتويج العالمي الهام والذي يعود تأسيس هذا المعلم إلى عهد دولة بني زياد في منتصف القرن الثالث الهجري .

○ عرفات الحضرمي: الجامع لم يحظ بأي عملية ترميم والتهديد لايزال قائماً

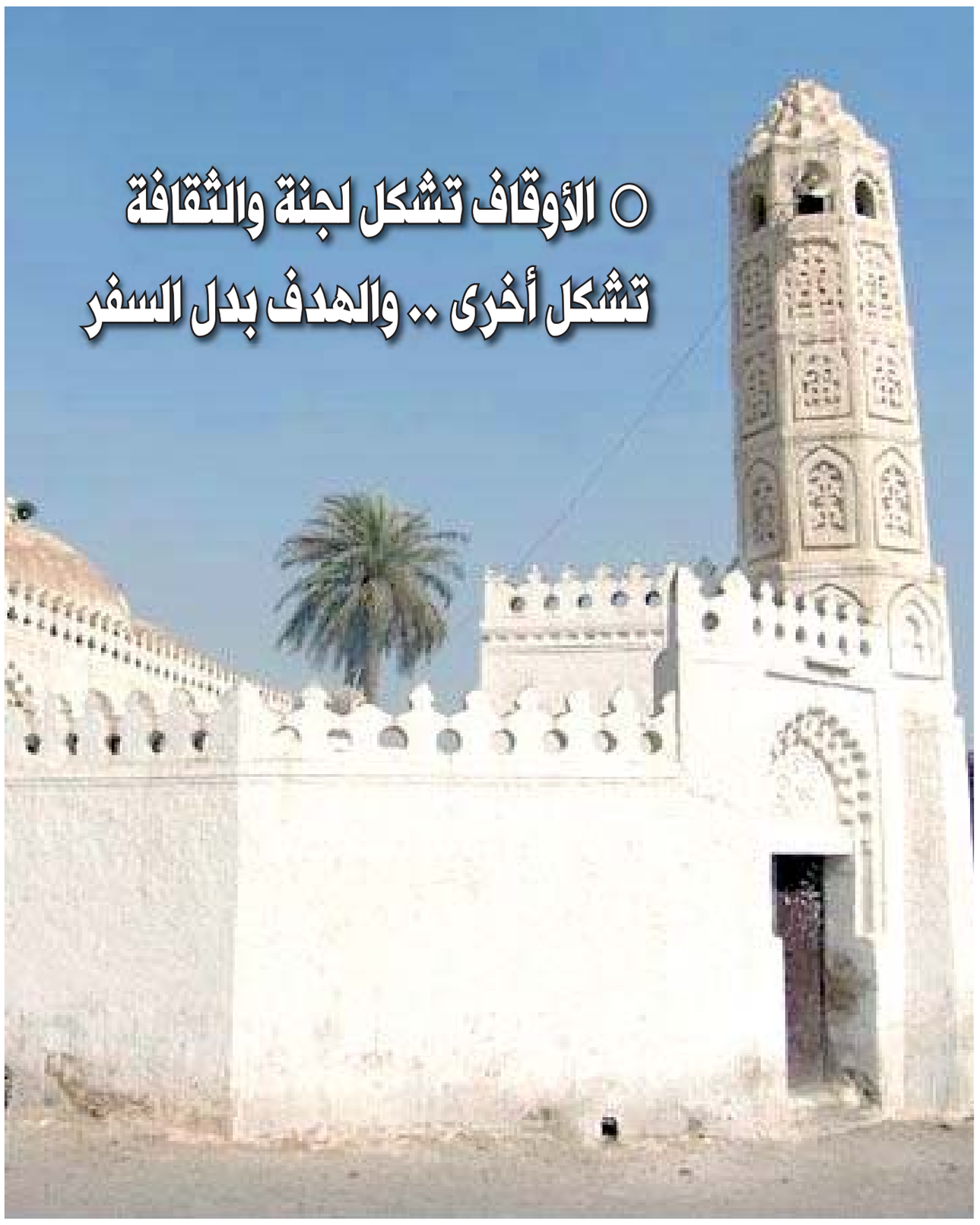

○ الأوقاف تشكل لجنة والثقافة تشكل أخرى .. والهدف بدل السفر

وحذرت جمعية الحفاظ على المعالم التاريخية بمدينة زبيد من المخاطر المحدقة بالجامع والتي قد تؤدي لانهياره، وقال الأخ عرفات الحضرمي أمين عام الجمعية لـ» الثورة السياحي» المخاوف المحدقة التي تطال هذا المعلم الإسلامي البارز من أن تصل الأضرار إلى مخازن المخطوطات التاريخية والإسلامية الموجودة بهذا الجامع التاريخي والإسلامي الهام خاصة وأنه لم يحظ رغم أهميته بأي عملية ترميم حتى الآن سواء من قبل وزارة الأوقاف أو وزارة الثقافة ممثلة بالهيئة العامة للآثار أو هيئة المدن التاريخية على الرغم من الوعود والخطط التي كانت تعدها تلك الجهات، موضحاً أن تنازع الصلاحيات بين هذه الجهات السالفة الذكر والاتكالية في ما بينهما أوصل هذا المعلم الإسلامي إلى مثل هذا الحال، وكانت جمعية الحفاظ على المعالم التاريخية بزبيد قد ناشدت في بيان سابق لها القيادة السياسية والحكومة ممثلة في وزارة الأوقاف والإرشاد ووزارة الثقافة وكل الجهات المعنية والمنظمات الدولية والإسلامية سرعة إنقاذ الجامع الكبير بمدينة زبيد التاريخية، وإطلاق حملة طارئة لترميمه وإيقاف حالات التدهور والانهيار الذي يواجهه الجامع بسبب الأمطار الغزيرة التي شهدتها المدينة الأسبوع الماضي واستمرت ساعتين وخلفت أضراراً كبيرة في الجامع تمثلت في انهيار الطارود الرابع بكل ما يحتويه من مصندقات خشبية ونقوش وزخارف نباتية غاية في الروعة والجمال والتي باتت غارقة في مياه الأمطار بداخل الجامع الغارق أيضا بالمياه وتلف معظم فرشه ومحتوياته، بالإضافة إلى حدوث تشققات في بعض عقود الطارود الرابع المنهار.

وطالب البيان بضرورة اتخاذ خطوات جادة للحفاظ على مكونات الجامع وخصائصه المعمارية ومحتوياته من نفائس المخطوطات التاريخية.

خلفية تاريخية عن الجامع الكبير في زبيد

وتقول المصادر الإعلامية أن الجامع الكبير في زبيد يعد معلما إسلاميا وتاريخيا بارزا ومن أهم وأكبر وأقدم المساجد في اليمن بعد الجامع الكبير بمدينة صنعاء وجامع معاذ بن جبل رضي الله منطقة الجند وجامع أبو موسى الأشعري وتأسس الجامع الكبير في عهد دولة بني زياد في منتصف القرن الثالث الهجري، ومساحته ٥ آلاف وأربعمائة متر مربع ، ويضم مكونه المعماري ٢٩٠ دعامة و ١٩٠ عقداً ويضم بجانب الجامع رباط لطلابه، أسسه محمد عبد الله بن زياد عام ٢٢٥هـ وقام بتجديده وتوسعته الحسين بن سلامة عام ٣٩٣هـ وأعاد بناءه مجدداً المبارك بن كامل بني علي عام ٥٦٩ هـ وجدده عام ٥٧٩ هـ طغتكين بن أيوب وفي عام ٨٤٢- ٨٤٥هـ قام بتوسعة مؤخرة والجناحين السلطان الأشرف إسماعيل بن يحيى ثم هدمه وأعاد بناءه السلطان عامر بن عبد الوهاب ٨٩٤-٩٢٣هـ وزاد في بنائه كما أنشأ له مكتبة، جددت سقوفه وأعمدة الطوارد بالمقدم عام ١١٦١ - ١١٨٩هـ على يد الإمام المهدي العباس ، مساحته من الداخل ٥٩×٥٧متراً ، يتوسطه فناء مكشوف مساحته ٢٦×١٤متراً ، بناؤه يقوم على ٢٧٠عقداً و١٤٠ دعامة و٩٠ أسطوانة وله ١٢ قبة و٧ مقاصير و٣برك ، تتميز العقود الداخلية بزخارف الكتابات القرآنية.

امتازت زبيد في العصر الإسلامي بالطابع الحضاري الإسلامي في شتى عصورها بالعلم ابتداء بأبي موسى الأشعري إلى عام ٢٠٤ هـ بدأت في النمو عندما قام محمد بن زياد وبرفقته محمد بن هارون التغلبي الذي تولى القضاء الإفتاء فأنجب ذرية حذوا حذوه في بناء الفكر الإسلامي، عرفوا لقبا ببني عقامة منهم العلامة الحسن بن محمد عقامة وأبو الفتوح علي بن محمد بن علي بن أبى عقامة التغلبي وتعتبر المدرسة العاصمية في العهد النجاحي إحدى مدارس جامعة الأشاعر كان من مدرسيها محمد بن عبد الله بن أبي عقامة الحفائلي ومحمد عبدالله الابار ونصر الله الحضرمي ومن خريجيها عمار بن زهيدان الحكمي اليمني ومن ثم ازدهر الفكر الإسلامي في المذاهب الأربعة ومن اشتهر من العلماء منهم عمر بن عاصم ومحمد بن دحمان اللذان اشتهرت بهما المدرسة الدحمانية والعاصمية في العهد الأيوبي والعلامة ابن حنكاش في المدرسة المنصورية والعلامة أبو الحسنين عبد الله بن مبارك الزبيدي مؤلف تجريد صحيح البخاري .

المدارس الإسلامية

يوجد في مدينة زبيد حوالي (٨٥ مدرسةً) علمية إسلامية كانت تضم كافة المدارس الفكرية والدينية التي تمثل المذاهب الإسلامية المختلفة وتعتبر مدينة زبيد من أشهر المراكز الفكرية العالمية ليس في اليمن فحسب بل على مستوى العالم الإسلامي ولا تزال بعض تلك المدارس موجودة بمسمياتها الحقيقية، ولا تزال المكتبات الخاصة بزبيد تضم دوراً من المخطوطات النادرة وأمهات الكتب في مختلف العلوم، وعبر تاريخها الطويل أبرزت فطاحل العلماء أمثال شيخ الإسلام « إسماعيل بن أبي بكر المقري » الذي كان مفخرة عصره بعلمه وحجم مؤلفاته الشهيرة واهتمامات الجامعات الأوروبية بمؤلفات علماء زبيد في الطب والزراعة والرياضة والتي تنتسب كلمة جبر المعروفة إلى عالم من زبيد، فارتبطت زبيد بالمدارس الدينية والفكرية والعلمية وبرزت مجموعة من مشاهير علماء الدين والتفسير والحديث واللغة وأصبح لها قيمتها التاريخية كمزارات لهؤلاء الأئمة الأوائل ومن مزاراتها قبر الزبيدي أحد رواة الحديث المشهورين والفيروز أبادي صاحب المحيط وأحد فقهاء اللغة العربية وآخرون غيرهم كثيرون ومن هنا اكتسبت أهميتها، ومن الأربطة التي ما زالت موجودة في المدينة . الرباط : يطلق على الأبنية التي يسكن فيها الطلاب وترتبط بالمساجد التي يتلقون فيها الدروس عن العلماء .، رباط يحيى بن عمر الأهدل، ورباط الجامع الكبير، ورباط الأشاعرة، ورباط البطاح، ورباط علي يوسف، ورباط المهادلة، ورباط الفرحانية، ورباط الخوازم، ورباط الدارة، ورباط الغصينية، ورباط ومسجد الوهابية، وهذه الأربطة وأمثالها من المقاصير التابعة بالمساجد كانت مشاعل للفكر الإسلامي، وهناك حقيقة تاريخية عن المدارس في زبيد فقد بلغت في عهد الملك الأشرف الثاني الرسولي سنة ٧٩١هـ مائتينٍ وستة وثلاثين مدرسة ومسجداً. وأهم المساجد : جامع الأشاعر أسسه أبو موسى الأشعري والجامع الكبير. (ب) السور والأبواب :- أول من سور المدينة زبيد الحسين بن سلامه في القرن الرابع الهجري فالأمير سرور الفاتكي في منتصف القرن السادس الهجري على إثر غارات علي بن مهدي وحفرت الخنادق وفي سنة ٥٨٩هـ جدد عمارته الخليفة طغتكين بن أيوب وفي سنة ٧٩١هـ جدد عمارته بناء السور الملك الأشرف إسماعيل الرسولي وحفر الخنادق وفي سنة ١٢٢٢هـ جدد عمارته حمود بن محمد الخيراتي. ولمدينة زبيد أربعة أبواب :- الباب الشرقي ويسمى باب الشباريق نسبة إلى قيرة الشباريق الواقعة شرق المدينة الباب الجنوبي ويسمى باب القرتب نسبة إلى قرية القرتب بوادي زبيد الباب الغربي ويسمى باب النخل نسبة إلى حدائق النخيل وكان يسمى باب غليفقه الباب الشمالي ويسمى باب سهام نسبة إلى وادي سهام.... وكان يخرج منه الملك نجاح إلى مدينة الكدراء التي تقع بوادي سهام الذي يبعد عن زبيد بثمانين كيلو متراً والذي يسقي كيلو ١٦ بالقرب من الحديدة.

الدار الناصري الكبير

يعتبر هذا الدار من أهم المآثر في زبيد حيث كان بساحته قصور الزياديين والنجاحيين وقصر الأعز الصليحي وفي سنة ٨٢٢ هـ عمر الملك الناصر أحمد الرسولي الدار الكبير الذي عُرف باسمه وهو ما يشمل باب النصر والسجن وثكناته العسكرية والباب وبداخله بستان القصر حيث امتد إليه عين ماء جارية عمرت الآجور الجص فأهملت وتخربت العين عندما نضب الماء ويشمل القصر الآن الحكومة الحالي كما انه كان يوجد عدة بساتين مثل بستان الراحة وبستان برقوق وعدة قصور مثل قصر السلاح وقصر الملكة علم أم الملك المنصور النجاحي بقرية جامع ومدرسة الإسكندرية (الميلين):- وهي واحدة من عدة مدارس علمية إسلامية بمدينة زبيد - ترجع فترة تأسيسها إلى عام ٥٩٣ -٥٩٨هـ في عهد السلطان المعز بن طغتكين الأيوبي.

الجدير ذكره أن وزارة الأوقاف شكلت لجنة لحصر الأضرار التي لحقت بالمعلم الإسلامي «الجامع الكبير بزبيد»، والثقافة هي الأخرى شكلت لجنة والنتيجة هل من مغيث؟ والمطلوب أيضاً سرعة تحرك الصندوق الاجتماعي للتنمية عبر وحدة التراث لأن هذا الصندوق لديه خبرات عديدة وفقاً لما أنجزه في العديد من العالم الإسلامية.